Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :12, N:01 – 20 May 2022

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 12، العدد 01 – 20 ماي 2022

تأملات فلسفية على هامش الوباء والصحة

Philosophical reflections on the sidelines of the epidemic and health

بلخضر نوال*

جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان / الجزائر (ninawel9@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2021/06/30 ؛ تاريخ القبول : 2021/09/30 ؛ تاريخ النشر : 2022/05/20

الملخص

احتل الوباء كوفيد *19* مكانا هاما في الأبحاث الطبية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، بحيث ليس سهلا تطويع الوباء للتناول الفلسفي، ولكن الفلسفة عودتنا بأدواتها المعتادة؛ الفهم والتحليل والنقد، على مجابهة ما يعجز العلم عن حله إلى حين، وتابعت أن الوباء من زاوية فلسفية ليست مجرد مرض يحتاج إلى وقاية ولقاح، بل هي ظاهرة ذات دلالات مختلفة؛ أخلاقية، واجتماعية، واقتصادية، ودينية ووجودية أيضا، مضيفة أنه إزاء هذه الكارثة الكونية إذن وبعيدا عن منطق اليقين والتوكيد، يكشف المجهر الفلسفي الخاص بأغوار كوفيد*19* .

الكلمات المفتاحية *:* الوعي، الفلسفة، الوباء، الوقاية، الصحة.

Abstract

The Covid-19 epidemic occupied an important place in medical, psychological, social, economic and other research, so that it is not easy to adapt the epidemic to a philosophical approach, but philosophy has brought us back with its usual tools; Understanding, analysis and criticism, in order to confront what science is unable to solve for a while, and she continued that the epidemic from a philosophical angle is not just a disease that needs prevention and a vaccine, but rather a phenomenon with different connotations; Moral, social, economic, religious and existential as well, adding that in the face of this cosmic catastrophe, then, and far from the logic of certainty and affirmation, the philosophical microscope reveals the depths of Covid 19.

Keywords:
Philosophy, covid 19, meditation, diseases, treatment

* **الباحث المرسل:**

مقدمة:

لقد ابتليت الإنسانية بوباء قاتل فتاك يعصف بحياة الإنسان، وسبب للجميع قلق و توتر وفزع وهلع، مما استوجب على الجميع العزلة الإجبارية في المنازل، هذا الوباء الذي لا يفرق بين صغير وكبير، غني وفقير ،شاب و شيخ، طفل أو عجوز, ومن هنا تعيش البشرية في صراع كبير مع هذا الفيروس الذي لا نعلم الكثير عنه، ونجهل طبيعته،كل هذا أدى إلى عزلة البشرية ومكث الجميع في بيته، تلك العزلة التي تشبه تماما عزلة الفيلسوف عندما ينعزل في برج عاجي أو الفلسفة في تأملاتها العقلية، فالفيلسوف ينعزل من أجل أن ينسج أفكاره، ويستخرج مكنونات عقله من استنتاجات و مفاهيم فلسفية، ليس من المبالغة في شيء القول اليوم بأنّ حدث ظهور فيروس كورونا، كوفيد (covid 19) وانتشاره في أرجاء المعمورة، وتصنيفه من قبل منظمة الصحة العالمية (2020/03/11) باعتباره وباء عالميا أو جائحة عالمية، خلق صورة أخرى "للإنساني وللقيم الكونية"، صورة بقدر ما جهّزت لتجسيد فكرة التعايش والوعي الجماعي بالانتماء الطبيعي للأرض أو المصير المشترك للبشر، فإنّها مهدّت لزحزحة جملة من المسلّمات المريبة والصامتة، لأنّ الحدود لم تفتح من أجل التأكيد على الحقّ في العيش والحقّ في الرعاية الصحيّة وحسب، بل فُتحت أيضا أمام اللّقاء بين المعرفة والسلطة، وبين البحث والقوّة، ويحاول العلماء و المفكرين حتى الرجل العادي أن يعرف طبيعة هذا الفيروس ،وكيف يصيب الإنسان و كيفيه الوقاية منه، و أصبح الحفاظ على الصحة من أهم ما يشغل كل فرد من أفراد البشرية.

أطلق تفشي جائحة كورونا في القارة الأوروبية والعالم الغربي موجة هائلة من المراجعات الفكرية والفلسفية والنقد الذاتي، الذي قدمته مجموعة من فلاسفة ومفكري العالم الغربي وكتابه المشهورين، وهنا يمكن أن نتساءل: كيف يمكن أن نفهم علاقة الفلسفة بالعلم اليوم في انخراطهما في تدبير جائحة الكورونا؟ ما علاقة الفلسفة بالصحة؟ ماذا يمكن للفلسفة أن تقدم للإنسان بل للبشرية جمعاء في زمن الكورونا؟ هل من دور أو وظيفة يمكن للفلسفة أن تقوم به في التخفيف من أضرار هذا الوباء القاتل؟.

الوباء يغيّر من دلالته:

يمكن اختبار هذا الافتراض من خلال فحص تأويلي لمصطلح "الوباء" كما تقوله اللغات الغربية من الجذر اليوناني (Ἐπιδήμιος) "epidemic" :من"Epi" ؛ أي "على أو فوق"، و"démos"؛ أي "الشعب"، الذي هو غريب عن معنى "وباء" العربية (من وَبَأَ المتاع عبّأه وهيّأه، ووبأ إليه أشار ووَمَأَ). إنّ ما يجلب الانتباه هو أنّ مصطلح "الوباء" هو في أصله يشير إلى مرض البشر، لكنّه في اللغة المعتادة يُستعمل للإشارة أيضا إلى المجموعات الحيوانية، على الرغم من أنّها تملك مصطلحا خاصا بها هو "zoonosis"أي "المرض الحيواني" أو "epizootic" أي "الوباء الحيواني"، مثل أنفلونزا الطيور، ثمّة مركزية أنثروبولوجية تختفي وراء المصطلح، بحيث يشعر الإنسان أنّه مركز العالم أو الحياة، ومن ثمّ فمرضه هو نموذج للصحة أو براديغم طبّي للحكم على مدى تمتّع أيّ حيوان "آخر" (هل هناك آخريّة في المرض؟) بصحّته، ومع ذلك، يبدو أنّ صفة "الوباء" لا تُطلق على النبات الذي يمتلك مصطلحا خاصا به هو "Épiphytie" أي "المرض النباتي"؛ النبات "يمرض "لكنّه لا يشكّل "وباء" بالنسبة إلينا؛ وحده "الحيوان" يمكن أن يكون مساحة "عدوى" تصيب البشر، ومن ناحية فلسفية، هذا تذكير ميتافيزيقي بأنّ انفصال البشر عن عالم الحيوانات هو ادّعاء أخلاقي صار مضرًّا أكثر من أيّ وقت مضى.

أنّ "الفيروس (virus) "الذي يكمن وراء المرض في كل مرة، أكان الجسد حيوانيّا أو "بشريّا"، إنّما يسخر من كلّ هذه التصنيفات الأخلاقية، ويصيب كلّ أشكال الحياة بوصفها مجالا حيويّا خاصا به، "فيروس" من أصل لغوي هندو–أوروبي يعني في اليونانية القديمة "ἰός" أي "السم"، وذلك طيلة ألفي سنة (حيث إنّ أوّل استعمال للفظة virus في معنى "سائل صديدي وقيحي" يعود إلى فيرجيل الذي مات سنة 19 ق. م.)، وذلك قبل اكتشاف "الفيروسات" بالمعنى الحديث سنة 1892، أثناء البحث في مرض يصيب نبتة التبغ، لكنّ المشكل هنا ليس وجود الفيروسات التي هي "معدية" دوما، بل إنّ نوعا قليلا منها فقط هو عامل حيوي "مسبّب للمرض (pathogen) "ينقل الأثر من مستوى الجسم المرئيّ إلى الطبقة المجهرية من الجسد داخل الخلية أو خارجها.

الفلسفة والكورونا:

تحدثنا سابقا عن الوباء أو ما يسمى بالكورونا بحيث لو ألقينا الآن بأنفسنا بشكل "ما-بعد-حديث"؛ أي الخوف من مساحة الوباء غير المرئية المختبئة في أجساد الآخرين التي تحوّلت فجأة إلى دوائر حيوانية تنفث عناصر العدوى دون أي حواجز أخلاقية أو أمنيّة غير "شعور المسافة"، لو ألقينا بتلك "الأنفس" التي تمّ اختزالها منذ الآن في مجرد ""امتدادات جسدية" تحمل فرديّتها مثل لعنة بيولوجية خرساء، في أفق "فيروس الكورونا (Coronavirus) "الجديد، الذي هو الآن بصدد تهديد البشر بالتهامهم في أتون "وباء (epidemic) "عابر، مثل وحش هارب من المخابر تحت الأرضية، يتجاوز مجرد "المرض المتوطن (endemic) "في بلد دون غيره، مثل مرض الهزال المزمن أو مرض الحُماق في المملكة المتحدة، ويهدّد بالتحوّل إلى "جائحة (pandemic) "تهدّد بالتهام الملايين كما فعل أسلافها من قبيل الطاعون الأسود أو الإنفلونزا الإسبانية.

أما من ناحية فلسفية، يمكننا أن نواجه التحدّي البيوتكنولوجي والبيوسياسي الذي يرفعه فيروس كورونا في وجه الإنسانية الراهنة من طرق عدة يمكن ارتسامها على الأنحاء التالية:

1- أن نحاول تنزيل الفيروس داخل تاريخه الخاص: تاريخ الأوبئة التي اصطدمت بها الأزمنة الحديثة، سواء كانت أوروبية أو انتقلت إليها من المستعمرات عن طريق تجارة "الأجسام" السمراء المستعبدة، منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر، مثل الطاعون والحمى الصفراء والكوليرا، هنا يمكن الاستضاءة بطريقة فوكو في كتابة تاريخ وباء الطاعون بوصفه ورشة "بيوسياسية" لدراسة نشأة العلاقة بين المعرفة والسلطة التي مثّلت الوجه الخفي لواقعة "الحداثة" الأوروبية، والفكرة الهادية هي أنّ الصلة التاريخية بين الحداثة والأوبئة هي ليست عرضية، بل هي جزء أصيل من هويتها الأخلاقية: أنّ "المعايير" القانونية داخلها قد كانت تبرّر نفسها دوما بالاستناد إلى ترسانة من "الخطابات" التي تقدّم نفسها على أنّها "معارف" مبنية على البحث عن "الحقيقة" في العلوم.

2- إنّ ما يشعر به الملاحظ عندئذ وقد أخذ يتجوّل في شوارع مدينة "ووهان (Wuhan) " الصينية، مدينة الطلبة الأقدم من بكين، التي يزيد عمرها عن 3500 سنة، وهي تحت كارثة فيروس الكورونا، وقد باتت مقفرة من أيّ قدم بشريّة، وحيدة مثل جحيم ميتافيزيقي،

هو تخيّل "فوكو في ووهان (Larmagnac-Matheron، 2020) ، يبدو أنّه كلما حلّ واقعُ الأزمات الطّارئة على الحياة البشرية، كان له الجدارة المعيارية على أن يُشكِّل نواة الكشف والمحاسبة للنموذج والنمط السائد المُدبّر والمنسّق للجسد الاجتماعي، فوضع الاستثناء يُثبت القاعدة، مِن حيثُ أنّه يَكشف لنا زيف المقولات التي تحسمُ أنسب شكلٍ للتنظيم البشري الذي نعيش وفقه، كونه أفضل النماذج الممكنة، أو بالأحرى يجلي الغشاوة عما يقبع داخل الخطاب والممارسة السياسية والإجتماعية والأخلاقية للعديد من الدول التي رفعت شعارَ بلاد العالم الأول «الرّفاه»، في تلك الأثناء وما يعقبها، تَطرح لنا عادةً، إعادة التساؤلات والرؤى النقدية للعديد من المفاهيم في مناح مختلفة؛ سياسيًا واجتماعيًا ووجوديًا.

3- شكل الوباء في بداية الأمر حصر فضائي صارم: إغلاق، بالطبع، في المدينة وفي ملحقاتها؛ منع الخروج منها تحت طائلة الإعدام، القضاء على الحيوانات التائهة؛ تقطيع المدينة إلى أحياء منفصلة بحيث تقام في كل حي سلطة لمشرف، كل شارع يوضع تحت سلطة إداري؛ يتولى مراقبته؛ فإذا تركه تعرض لعقوبة الموت، في يوم معين، يطلب إلى كلّ أن يغلق باب بيته على نفسه: ويمنع الخروج تحت طائلة الإعدام (فوكو، 1990، ص 206) إذا تناولنا الموضوع من الناحية الفلسفية فإنه غالبًا ما يرتدُّ الإنسان لحالة من النكوص إلى ذاته وإلى صلته بالوجود وبالأخرين، وذلك في أوضاع الطوارئ والاستثناء، التي تجعل المرء يتذكر أو يكتشف أو يتسائل أو يختبر أجوبته المُسبقة، ومدى ما يمكن أن يكون، الخوف هو شعور ينتاب الفرد بالتنبيه والإنذار لوجود خطر ما، حقيقي ومعلوم، فتلك الحالة من القلق الموضوعي، تحفز بالأساس الشعور على المجابهة والاستعداد، فالخوف يُولد مع الانسان؛ «يبدو أن عملية الميلاد وهي أوّل خبرةٍ بالقلق تمُر بالفرد، قد اعطت انفعال القلق في الانسان والحيوانات العليا بعض طرق التعبيرِ الخاص»، وإذ أن حتمية الموت، تضع داخلنا الخوفَ الكامِن من تلك المواجهة المصيرية، وكما أن غريزة البقاء تدفعنا نحو الحفاظ على الحياة بالرغم من معرفتنا بحقيقة الموت، الذي يواجَه بالعديد من محاولاتِ تناسي وتجاهلِ الموت، فهنالك مخاوفٌ بيولوجيّة؛ تدقّ ناقوس الخطر مع كل

ما يهدد وجود الحياة البشرية للنوع، كالظواهر الطبيعية، التي واجهت البشرية على مدار سيرها، منذ حياة الغابة والكهوف إلى الزراعة والحضارة والصناعة، وحتى الثورة المعلوماتية والتقنية.

4- أن نعمد إلى نقد طريقة "الغربيين "اليوم في توريط الصين (العالم غير الغربي) في وحل فيروس كورونا، بوصفه خطأ هيكليا في سياسة الحياة داخل مجتمع آسيوي "غير حرّ" (Zizek، 2020)، كأنما نحاول إثبات ما عاشته المجتمعات البشرية دائمًا مع مخاوف المجهول، ورقعة المجهولِ تكمن في حيّز معرفة البشر لقوانين الطبيعة وموقعهم منها، تلك المواجهة الدائمة، التي نال منها الإنسان الكثير، وقد أسَّس من خلال سير المعرفة العلمية، مجتمعاتٍ مستقرةٍ متوغّلة ومنتشرة في أنحاء الكوكب، ويترتب على حالة استقرار الإنسان في نظم اجتماعية، أن تصبح دائرةٌ أخرى من الحماية والاستقرار، للحفاظ على البقاء، وأيّ مخاطرٍ تزعزع تلك البنية الاجتماعية التي تشمل دائرةً ثالثة هي الثقافة، التقاليد والأعراف والأخلاق والعقائد، فالخوف يُنذر بالتهديد لهذا الاستقرار، خوفًا من الرجوع لدائرة الخطر الأصلية والبيولوجي، وبالتالي لم يكن الخطأ الأساسي فقط في الصين كمحور لإطلاق الفيروس وإنما لابد الرجوع إلى جميع الأحداث السابقة كما لا ننسى الأوبئة حتى وإن قيل أن له سبب أخر.

5- وصف الكورونا فيروسا "إيديولوجيا (Zizek، Coronavirus: le virus de l'idéologie، 2020)" لا نفكر فقط حاليا وإنما لابد لنا أن نتوقع الأحسن من الأسوء بحيث إني أظن أن الفترة القادمة من تاريخ الوطن والمنطقة والعالم، فيما بعد ظهور "فيروس كورونا" سوف تكون متخمة بالأحداث والتطورات والمصائر الدرامية الكاشفة، التي ستحتاج إلى قراءة عميقة وواعية، تقوم بها عقول فلسفية رصينة، تمتلك موهبة التفكير، ومهارات الرصد والتحليل، وبراعة التعبير، وشجاعة قول الحقيقة، وأن المُتغيرات التي ستحدث في العالم في قلب كارثة كورونا وما بعدها سوف تدفع البشر إلى مراجعة المعاني التي كانوا يعيشون من أجلها، ومراجعة الكثير من القناعات والأفكار والمفاهيم التي ثبت

فشلها في مواجهة الأخطار التي جسدها هذا الفيروس، والحقائق التي كشف عنها؛ ذلك أنّ التهديد الوبائي ليس تهمة عنصرية يمكن إلصاقها بالعدوّ المنفصل عنّا، سواء بشكل هووي أو بشكل جغرافي، إنّ الجديد، كما يقول جيجيك هو هذه الواقعة المرعبة: (Zizek، We're all in the same Boat now – and it's the Diamond Princess، 2020) "نحن على نفس الباخرة ومن أبرز تلك الحقائق انعدام قيمة كل ما في حوزة البشر من حرية ومال وممتلكات، وتهافت كل ما كانوا يظنونه من إنجازات، وتفاهة كل من كانوا يتصدرون المشهد العام، ويُجسدون نموذج القدوة والمثل الأعلى.

6- وكل تلك المتغيرات والحقائق سوف تجعل الفلسفة ضرورة حياة في عالم كورونا وما بعدها، لكي تُعطي معنًى جديدًا أكثر إنسانية للحياة، لكي تُصلح بالفكر الفساد الناشئ عن تردي أحوال السياسة والمجتمع والاقتصاد، عبر ممارسة دورها التاريخي في النقد وكشف الزيف، وممارسة دورها التاريخي في صياغة المفاهيم والتصورات والقناعات الحاكمة والضابطة لسلوك البشر والدول، فيروس الكورونا الذي سلك طريقه إلى الوجود العالمي تحت رعاية السوق العالمية عبر شبكات الانتشار التي لا حصر لها جعل الجسد يتخلّى عن عرشه، لا مجال لأن يدّعي أيّ جزء من الإنسانية أنّه معفى من العدوى التي لا تفرّق بين الهويات أو الثقافات أو الأديان، ومن ثمّ، فهستيريا الغرب من عدوى الكورونا كأنّه اختراع وراثي "صيني" هو حسب جيجيك أمر لا يخلو من نزعة "عنصرية (Zizek، Clear racist element to hysteria over new coronavirus، 2020) لذا لابد لنا أن لا ننشغل فقط بهذا الأمر بل نحاول فهم العالم والبحث عن إجابات للأسئلة لا تشكل تمشيا شائعا ولا طبيعيا، على خلاف ذلك، لم نعد نحاول مفاجأة أنفسنا في الوقت الحاضر، بل على العكس من ذلك نحاول معايرة أو تنظيم كل ما يحيط بنا، عالمنا بأكمله، تنظيمنا، حياتنا اليومية، عملنا، كل ذلك منظم مثل ورقة النوتة الموسيقية، ثم نجد أنفسنا مرتبكين عندما يقال لنا" :لن تذهبوا إلى العمل بعد الآن، المدارس سوف تغلق"، تنظيمنا الكلاسيكي التقليدي جدا، المحكم جيدا، والمهيكل جدا، والمسمى، ينفجر أخيرا! أكثر من ذلك يضاف

شكل من أشكال القيمة، بعض الأشياء يقال إنها ضرورية وأشياء أخرى غير ضروري، هكذا يقول أغلب الناس يقولون في قرارة أنفسهم إن ما يغذي حياتهم اليومية، هذا الذي يستيقظون من أجله في الصباح، المكان الذي يقضون فيه جزءا كبيرا من حياتهم ليس ضروريا في نهاية المطاف، يدركون أن هناك مجالات كاملة من النشاط، حرفا، زمنا انقضى، لم تكن ضرورية، الشيء الذي يصبح مهما هو أن التساؤل عما إذا توفر ما يكفي من الطعام والبقاء بصحة جيدة.

إن إدراك عدم جدوى وجودنا لا يخلو من شعور بالمرارة ولهذا السبب نلاحظ سلوكات المقاومة، منذ الساعات الأولى من الحجر الصحي، كان هناك مقاومون: "أنا لن تصيبني العدوى"، "أنا لست مثلهم"، "عملي مهم وأرغب في الذهاب إليه على أي حال"، إلخ، بعد ذلك أفسحت المقاومة المجال للذعر "سأذهب للتبضع، سأوفر مخزونا"، "علي الذهاب إلى الريف لأنني أشعر بالمزيد من الحماية هناك"، إلخ، وهكذا نجد أنفسنا أمام نشر الخوف وقد يمكن أن يتحوّل إلى سلاح وبائي ما بعد حديث ضد الجموع يختزلها في مجرّد مساحات للعدوى بلا أي نوع حقيقي من الحماية، وبذلك تسترجع الدولة الأمنية كلّ نجاعتها البيوسياسية التي فقدت شطرا واسعا منها باسم قيم الديمقراطية.

إذا ناقشنا كونيّة المعايير التي تتمّ بمقتضاها سياسة الحياة التي يفرضها تفشي فيروس كورونا، وانتقال العدوى التي أحدثها في عالم "معولَم" بشدّة، وذلك في ضوء ما كتبه هابرماس عن "مستقبل الطبيعة البشرية"(Jürgen Habermas, 2001) فإننا نجد هذا الوضع مزعج أكثر إلى درجة أنه يؤثر علينا بقدر كبير على المستوى الفردي والجماعي، ونلاحظ كيف أن هناك مشاركة اجتماعية مكثفة للعواطف في المجتمعات، يتعلق الأمر بمحاولة كسب الطمأنينة، الشبكات الاجتماعية موجودة من أجل ذلك، والمفارقة هي أننا سنستمتع أيضا بالإحساس بالخوف بطريقة معينة، والنتيجة مختلفة لأننا نجد أنفسنا في وضع الانسحاق تحت الكم الهائل من الأخبار الكاذبة إلى حد ما، والتي نسارع إلى مشاركتها وننسى التفكير فيها وفهمها، لم نعد نفكر، تسحقنا الأخبار والوضعية، لم تعد هناك مسافة بين ما يحدث الآن وبين الأنا باعتباره فردا، أفكاري عنه لم تعد مهمة، أنا لا أفكر بل أشاهد الأخبار باستمرار، لقد سحقتني الأخبار، انطلاقا من هنا، كيف أفهم العالم وهو ينكشف؟

الذعر يمنعنا من التفكير، هذا الأمر بالنسبة للفلاسفة، لا ينبغي الاستسلام للذعر، يتعلق الأمر بفهم ما يحدث وعلى الأخص كيفية التصرف كفرد في المجتمع، في الحالة الراهنة هناك مفارقة بين الانطواء على الذات والتضامن، من وجهة نظر يومية ومفاهيمية يكتسي ذلك بالغ الأهمية، يقال لنا كونوا متضامنين لكن هذا لا يستقيم إلا إذا كانت لدينا سلوكات فردية، العمل الفردي هو غسل اليدين، حماية النفس، الخضوع للحجر الصحي، يجب أن نشكل سويا كتلة كما يردد الحاكمون، لكن هذا لا يمكن أن يحدث إلا من خلال السلوك الفردي، على المستوى المفاهيمي، يشير هذا إلى معضلة القنفذ العزيزة على شوبنهاور إن التفاعلات المجتمعية، إذا أريد لها أن تكون آمنة، يجب أن تتم على بعد مسافة كافية، لذلك من الضروري إيجاد المسافة الكافية بين الفرد من جهة والمجتمع من جهة أخرى وهذا ليس واضحا، هذه العادة ليست من ديننا تلك مسألة مهمة تتعلق بمحاولة إيجاد مساحة فكرية بيني وبين المجتمع.

في نطاق أسئلة "بيوتكنولوجية" تفرض على "المعاصرين" طريقة مناسبة (تواصلية) في آداب الخطاب حول مشاريع "تحسين النوع البشري"، إنّ المشكل البعيد هو: ما هي العلاقة المأمولة مع قدرة المخابر البيوتكنولوجية على تصنيع الحياة: هل هي مجرد توصيف قانوني أم هو استشكال أخلاقي لا يزال ملتبسا؟ إنّه لم يعد يمكن، حسب هابرماس، حماية الجسد البشري من عصر التقنية بواسطة الوصايا الأخلاقية، لكنّ تحسين النوع البشري يطرح مشكلا أخلاقيا وقانونيا غير مسبوق لم يعد يمكن تأجيله، وعندئذ علينا أن نسأل: هل من الجائز افتراض نيّة بيوتكنولوجية لتحسين النوع البشري من خلال تصنيع فيروس كورونا واختباره بوصفه يستند بوجه أو بآخر إلى سياسة بيوسياسية تتلاعب جينيّا أو وراثيّا بالطبيعة البشرية، سواء أن كان ذلك بشكل مقصود (في المخابر) أو غير مقصود (بسبب سياسات سيّئة في الصحة أو الغذاء أو البيئة..)؟ إلى أيّ مدى يمكننا أن نفترض هروب الفيروسات من المخابر (وهو احتمال يتم تكذيبه إلى حد الآن – Cf. Louis Baudoin Laarman, 2020) وحتى "لا نموت بحماقة" أو "نعيش في عالم ظالم"، ومن منطلق وعيينا بأنّ وجودنا هو تلك الذات المفردة وتلك الكتلة المترابطة في الآن نفسه لا بدّ أن نعيد مقاربتنا إلى دائرة الأخلاق وأن نقارب المسألة مقاربة تفاعلية اجتماعية حيث لا خلاص للفرد دون الجماعة ولا حق

للجماعة في تهميش الفرد، فنعتمد التباعد الاجتماعي ونلتزم به ونوفر وسائل الوقاية والمطهرات وأن نحدّ من الحركة غير الضرورية دون اللجوء إلى الحجر الشامل ودون أن ننخرط في تهور أصحاب نظرية المناعة التي تدفع إلى عدم توقيف عجلة الاقتصاد وعدم الإضرار بمصالح الأثرياء أساسا، فيدفع الضعفاء والمرضى والشيوخ ضريبة هذا الفيروس، وهم لا يكادون يغادرون أحياءهم، ثمن فيروس جاء في أجساد المسافرين عبر العالم وحقائبهم.

إن الإنسان غاية في حد ذاته والحياة البشرية هي أقدس المقدسات، ولا بد من المحافظة عليها في المقام الأول خارج معيار الربح والخسارة أو القوة والضعف أو الكثرة والقلة باعتبار الإنسان هو الإنسان بعيدا عن مفهوم الكتلة التي لا تبالي بالأقليات في التصورات الاشتراكية والتي تلغي الوجود الفردي في ظل هوسها بالخلاص الجماعي، فتهمل المهمشين والفئات الأكثر فقرا وهي تعمل على حماية الفقراء والطبقات الاجتماعية الهشة، ويدفع المنبوذون من المنظومات الاقتصادية والاجتماعية الثمن وحدهم، وتحوّلها، مستقبلا، إلى تهديد يطول كل مساحة" المناعة" الجسدية، ولا تصمد أمامه أيّ حدود هووية للـ"جماعة" مهما كان شكلها؟ وفجأة لم يعد الإنسان المعاصر منذ نهاية القرن 19 جسماً يدّعي أنّه مساحة أخلاقية لا يزال يمتلك الوصاية الاجتماعية عليها تحت عنوان "الصحة"، بل هو قد تحوّل بسرعة مرعبة إلى دوائر حيويّة لا متناهية من "إمكانيات المرض" لا يرى منها سوى طبقتها الخارجية فقط، إنّ حدود أو تخوم الجسد قد تغيّرت بلا رجعة، سواء نحو الداخل (في اتجاه الخلية) أو نحو الخارج (في اتجاه الأجسام الحية الأخرى)، وفجأة غيّر مفهوم "المرض" من دلالته، إنّه لم يعد خطأ صحّيا (ناتجا عن "حمية" غير مناسبة) ولا هو ضرورة بيولوجية تحت مفعول العمر (مثل الموت)، بل هو مساحة "فيروسية" لا نراها، بل هي عصيّة حتى على المجاهر العادية؛ إذن إنّ هوية أجسادنا لا توجد بين أيدينا، في مساحة أخلاقية مرئيّة، يمكننا أن نسيطر عليها، بل هي قد أصبحت توقيعات وراثية تتخطى الادعاء الأخلاقي للبشر من أجل أن تعيدهم إلى التركيبة الخلويّة التي يشتركون فيها مع النبات والحيوان، تلك التي أقامت الإنسانية التقليدية لفترات متطاولة انفصالها الأخلاقي أو الميتافيزيقي عنها.

إصبح هذا الوباء (كوفيد 19) يهدم الجدران الثقافية التي بناها الإنسان التقليدي من أجل أن يفصل "نفسه" عن بقيّة الكائنات "الحية" حسب ترتيب أخلاقي لم يعد له اليوم ما يبرّره، ولأوّل مرة، في عصر الفيروسات، صار الجسم البشري هدرا عضويا أمام كل أنواع الهجومات الحيوية، من منطقة "خارجة" بمعنى ما، دون أن يكون "الخارج (outside) "خارجيا (exterior) دوما.

ما هي الدروس التي تقدمها لنا الفلسفة عن فيروس كورونا؟

ماذا نتعلم من هذه الأزمة؟

إن معرفة كيفية فهم العالم ومعرفة كيفية العيش، يمثلان في نهاية المطاف جذرا الفلسفة، يمكن أن يساعدنا على العودة إلى العناصر الفلسفية القوية والمفيدة بعد الأزمة، لأنه يبدو أننا نشهد شكلاً من أشكال تدمير العالم الجاري: العولمة، الاعتماد المتبادل، ضعف إعطاء الأولوية للأموال العامة، إلخ، ومع ذلك، فإن التدمير يستدعي الخلق ويبقى الرهان هو خلق عالم جديد، كيف سيكون لدينا عالم قادم مختلف عن العالم الذي تم تدميره؟ عالم مبتكر ولكنه مسؤول أيضا، ومع ذلك، هناك خطر كبير من أن هذا العالم لم يتم تدميره بالكامل وأنه هو نفسه كما كان من قبل، قد يؤدي تكرار الأزمات، إلى رؤية شيء آخر ولكن لا شيء غير مؤكد، لم نتعلم بالفعل من الأوبئة الأخيرة ولم نعدّل أنماط الحياة من حيث النظافة واستعمال الإقنعة، كنا نعلم أننا لم نكن مستعدين لوباء آخر، لكننا لم نفعل أي شيء، على الرغم من الإشارات، هذه المرة قد يكون لدينا دمار لخلق عالم أكثر مسؤولية.

إن الاشتغال على الذات تعلم آخر يأتي إلينا من باسكال الذي قال إن "مصيبة الناس هي عدم معرفتهم كيف يبقون أو يمكثون وحدهم في راحة داخل غرفة" لماذا؟ لأنك تريد السفر، القيام برحلة عمل، أو مقابلة الأصدقاء، أو الاجتماع لتناول العشاء، أو الذهاب في عطلة ذات اليمين وذات اليسار أليس كل هذا سطحية في نهاية المطاف؟ أليست هذه فرصة لتعلم الاشتغال على الذات والقدرة على العيش بحضرة النفس؟ أليست هذه فرصة لإعادة تأسيس مساحة فكرية فردية وجماعية يبدو أننا افتقدناها منذ بضعة أسابيع (العبودي، 2020).

كورونا والفلسفة .. إشكالات لا تنتهي:

ثمة العديد من الناس ينفعلون بهذا الوباء، في معركة يرى العالم فيها اختبار بقاءه البيولوجي ربما الأهم في تاريخه الحديث، معركة يقف فيها أحفاد أبقراط على خط المواجهة المباشرة، لكن ثمة أخرون، يخوضون بدورهم جدالات أخرى مع الوباء وما يحمله لليوم والغد من تغيرات، وإن وقف هؤلاء في الخطوط الخلفية، ومن هؤلاء ولا شك المشتغلين بالفلسفة، لكن بما أن الفلسفة كما كما قال دولوز هي فن صياغة المفاهيم، وعند آخرين فن صياغة الأسئلة فإن ما يطرحه فلاسفة اليوم في انفعالهم بالوباء، لا يتعدى في رأيي هاتين العمليتين؛

أولًا؛ صك مفاهيم جديدة أو إعادة الاعتبار والنقاش حول أخرى

وثانيًا؛ صياغة الأسئلة حول الواقع ومآلاته.

تأملات فلسفية على هامش كوفيد19:

لقد جاء وباء كوفيد 19 ليذكرنا، بأن الإنسانية، تشكل كتلة اجتماعية حميمية ومترابطة، فالبيئة المعدية والهواء المشترك الذي يتنفسه أحدنا من رئة الآخر يدحضان اعتقادنا بأن المجتمع محض أجساد تتجاور في استقلال وانفصال، وتفشي هذا الوباء شبيه بقضايا المناخ، وفق التصورات؛ فكلاهما يذكرنا بأننا جميعًا نمتطي القارب نفسه وأن سلامتنا لن تتحقق إلا بنجاتنا معا، وكلاهما يوقظ فينا رغبتنا في البقاء ويجعلها شكلاً بدائيا من أشكال الوعي المدني، والممارسة السياسية تثبت ذلك، فقد حاول ترامب إبقاء "الفيروس الصيني" وفق تسميته، خارج الولايات المتحدة الأمريكية، فرفض البيت الأبيض منح تأشيرات للمسافرين إلى الصين وألغى الرحلات الجوية ومنع المواطنين غير الأمريكيين الذين زاروا بكين من دخول الولايات المتحدة، ولم يمنعه من حظر دخول الأمريكيين الذين كانوا قد سافروا إلى الصين غير الموانع الدستورية والقانونية، لكن النتيجة أنه قد تسلل إلى الولايات المتحدة وجعلها الأكثر تضررا منه، وتذكرنا هذه الجائحة بمعطى ثان تناسيناه وفق ميشيل دوبوي، وهو أننا كائنات حقيقية تعيش في عالم ملموس وواقعي في المقام الأول، فتعيد هذا الطبيعة

إلى قلب اللعبة، لتذكرنا، نحن" الأرواح المتغطرسة "بأننا يمكن أن نموت" بحماقة "بسبب الطبيعة التي نتعالى عليها، وتخوض "المعيار الرقمي "الذي فرض على العالم مع تطور التكنولوجيا، وجعلنا نعتقد شيئا فشيئا أنّ الوجود من حولنا تطبيقه يأخذنا إلى العوالم الافتراضية.

كوفيد 19 وإعادة تعريف الكينونة :

يحلم الإيطاليون في هذه الأونة الذي يصبحون فيه قادرين على كسر مسافة المترين بين بعضهم البعض، وهي المسافة التي تنصح بها الجهات المسؤولة عن مواجهة المرض، قد يتمكن الإيطاليون مستقبلًا من كسر هذه المسافة، لكن ما يشكون فيه هو قدرتهم على كسر المسافة بينهم وبين أشقائهم من دول الجوار الأوربي التي أغلقت حدودها أمام إيطاليا، رجل أوربا المريض هذه الأيام، هذا ما يتبقى للإيطاليين أن يذكروه "الموقف الإنساني" بعيدًا جدًا عن حسابات السياسة وإشكالاتها (Slavoj, 2020) لهذا تقف الإنسانية الآن في مفترق طرق، ليس فقط للخروج من الوباء، بل لتخرج وقد انتصرت في المعركة الأخلاقية التي سيفرضها الفيروس، فسواء على مستوى الأفراد أو مستوى الدول، فإن كوفيد 19 سيطرح فكرة ندرة الموارد بشكل حاسم كمعضلة أخلاقية، وفيها ستُختبر معاني نستها البشرية ربما لكثير من الوقت حول التضحية والإيثار، وهي المفاهيم التي داستها الرأسمالية وأبدلتها بمفاهيم البرجماتية والمصلحة الفردية، تتجلى هذه المعاني الرأسمالية اليوم في مواجهة أمريكا لكوفيد 19، والتي رفض فيها ترامب الحجر الصحي على نيويورك لاعتبارات اقتصادية، تضع الرأسمالية الاقتصاد فوق ما سواه، وفي قادم الأيام ستوضع هذه المقولة النقدية أمام الاختبار بكثافة، مع الحجر الصحي وتوقف العمل (Martha, 1997, p. 6).

الفلسفة والصحة:

أشار نتشه ذات مرة، إلى أنّ "أيّ عالم نفساني لا يعرف سؤالا جذّابا بقدر السؤال عن العلاقة بين الصحة والفلسفة، وفي حالة ما إذا صار هو نفسه مريضا، فإنّه سوف يجلب معه كلّ فضوله العلمي في صلب مرضه "(Nietzsche, 1887, p. 2) هنا تقع الصحّة دوما على حافة معركة مع مرض

ما لا نراه أو صار بمثابة مقياس غير مرئي لما نريد أن نفكّر فيه، والسؤال عن "العلاقة" بين الصحة والفلسفة ليس هو نفسه السؤال عن العلاقة بين الفلسفة والصحة: فالصحة ليست مجرّد "موضوع" محايد للبحث الفلسفي، بل هي الورشة الخلفية لظهور الفلاسفة واختيار أدواتهم، إذْ يفترض نتشه أنّ مجرّد أن يكون الإنسان "شخصا" هو لن يمتلك بالضرورة إلاّ "فلسفة شخصه (die Philosophie seiner Person)" (Nietzsche, 1887, p. 2) ؛ ذلك أنّ كل فلسفة هي تاريخ "الجسد المريض (der kranke Leib) "الذي أملى على "الروح" أن تذهب في هذا الاتجاه أو ذاك، إنّ المرض يجرّد الروح من كبريائها ويحوّلها إلى كائن ينتظر، وكل ما دافع عنه الفلاسفة هو حسب نتشه مجرد وعود أخلاقية لأجسادهم المريضة، مثل "الصمت" و"اللطف" و"الصبر "و"الدواء" و"الراحة" بأيّ شكل، وهو ما تتمّ ترجمته في مفاهيم "السلم "و"السعادة السالبة" و"الغاية النهائية" وكل مطلب جمالي أو ديني يصبو إلى شيء يقع "جانباً (Abseits) "عنّا أو "ما وراء (Jenseits) "وجودنا أو "خارجاً (Ausserhalb) "أو "فوق (Oberhalb) "عالمنا (Nietzsche, 1887, p. 2)في كل هذه المرات، يبدو المرض بمثابة ذاك الشيء الذي "يلهم " (inspirirt)الفلسفة دون أن تدري، وتحت كل "فكرة" يوجد سبب "فسيولوجي" لا يتكلم، وهكذا، فإنّ "الفلسفة إلى حدّ الآن لم تكن دوما غير تفسير للجسد وسوء فهم للجسد (ein Missverständniss des Leibes)" .(Nietzsche, 1887, p. 2)

بناء على ذلك يمكننا القول أن هناك علاقة وثيقة بين الفلسفة و الصحة، من خلال تفسيراتها للجسد المريض، ومحاولة النفاذ إلى فهم هذا المرض، لذا تلعب الفلسفة دورا مهما ومحوريا في زمن الوباء (كوفيد 19) ،من خلال تفسير هذا المرض ،وكيفية انتشاره،وكيفية الوقاية منه،والتحذير من خطورته، وهذا هو دور الفلاسفة في كل زمان و مكان هم مرآة مجتمعاتهم، وضمير شعوبهم،يعيشون مع الواقع و يتفاعلون معه، و يحاولون تقديم العلاج لمشكلات هذا الواقع.

كوفيد 19: قراءات فلسفيّة:

سبق لهيغل أن وصف الفلسفة بطائر البومة (مينيرفا) الّذي يظهر في المساء، حين تكون الشّمس قد أفلت بهذا المعنى تنتظر الفلسفة قليلا، إلى أن تختمر الأفكار وتتّضح الصّورة وتتّجلى الرّؤية، فتبدي قولها وتصوغ أطاريحها، تنحت مفاهيمها وتقلب أسئلتها، غيير أنّ جائحة كوفيد 19 قد ورّطت الجميع على حين غفلة، بما في ذلك الفلاسفة أنفسهم، في محاولة لمسك بعض خيوط الحدث والجائحة، فمع فجائيّة ما حصل وما هو غير متوقّع، لم يعد أحد يدري هل سيحلّ المساء أصلا مادام صبح هذا الوباء الطّويل لم ينجلي بعد؟.

لقد انقلبت المعايير والأفكار، والخطط والاستراتيجيات، وحتّى طرق العيش والتّواصل، كما السّياسة والإقتصاد والتّعليم، وأضحت مفاهيم الرّأسماليّة والنّيوليبراليّة، العولمة والسّوق الحرّة، الحياة المشتركة والغيريّة، في مهب رياح التّغيير والنّقد والمساءلة، هل سيشهد العالم ولادة جديدة لنظام عالمي جديد "عالم ما بعد الكورونا" ، أم أنّ الرّأسماليّة ستجدّد جلدها كالأفعى وتنبعث من هذه الأزمة بشكل أقوى وأعنف؟ وما عسى الفلسفة تقول أمام هول ما نعيشه وأمام أمواج الفيروس "كوفيد 19" الفاتك والهادر؟.

عندما يواجه العالم حقيقة تتجاوزه ، وعندما تكون حياة البشر على المحك ، تطفو على السطح أسئلة ذات طبيعة فلسفية، إن التساؤل لفهم العالم هو أمر جوهري للفلاسفة كما إنها الدهشة التي دفعت ، كما هو الحال اليوم ، المفكرون الأوائل إلى التكهنات الفلسفية، فأن تكون فيلسوفا يعني إذن أن تتمتع بقدرة معينة على الدهشة، هذه الدهشة لم تذهب سدى ، ويجب أن تجد إجابات لأنها تساؤلات، فهي تثير القلق، وعلاوة على ذلك ، كان العلماء وعلماء الرياضيات في العصور القديمة فلاسفة أيضاً ، مثل طاليس ميليتوس، وما يحدث الآن في هذه الأزمة الصحية يسبب الدهشة، ويشير إلى فهم أو بالأحرى سوء فهم لما يحدث في العالم وفي نفس الوقت يفسح المجال للبحث العلمي، بعبارة أخرى ، لدينا في الوقت الحاضر طريقة معاصرة للغاية لتجربة ما يمكن أن يحدث في مناقشات الفلسفة القديمة ، مع الحفاظ على القضايا العلمية والأخلاقية، مثال على ذلك عمل

البروفيسور راولت ، الذي حصل على نتائج أولية مشجعة ، ولكن في حالة عدم وجود بروتوكولات ثابتة ، هل ينبغي وصف الدواء؟ السؤال أخلاقي بقدر ما هو علمي.

إدغار موران وأزمة الكورونا:

اعتبر الفيلسوف الفرنسي إدغار موران في إحدى حواراته أنّ فيروس كورونا قد عرّى بشكل مأساوي وفوري المصير المشترك للإنسانيّة، فما نشهده اليوم أنّ العولمة في سعيها لتوحيد المجال التّقنيّ والاقتصاديّ للكوكب، لم تعزّز التّفاهم بين الشّعوب، فبات من الحاصل وأمام غياب تضامن دولي ومنظّمات مشتركة لاتّخاذ تدابير في مستوى الوباء، بروز " انغلاق أناني للأمم حول ذاتها"، من هنا يجب البحث حسب موران عن مسار جديد يتخلى عن العقيدة النّيوليبراليّة، لأجل بناء سياسة اجتماعيّة وبيئيّة مضادّة للأزمة، يعمل هذا المسار الجديد على تصحيح الأثار المترتبة عن العولمة من خلال إنشاء مناطق متحرّرة منهاDémondialisées فالمجتمع اليوم، يفتقد لهياكل التّضامن التّقليديّة، الأمر الّذي ينبغي تعزيزه بين المواطنين والجيران والعمّال، إنّ الوضع يحتّم علينا كذلك، إعادة النّظر في النّزعة الاستهلاكيّة أو الاستهلاك المخدّر، كي نتخلّص من الكمّ لصالح الكيف.

يرى ادغار موران أنّ الزّمن مع الحجر الصّحي ينفلت من الاحتساب، هذا الوقت الّذي ينفلت من دائرة (المترو – عمل – النّوم)، يمكننا من استعادة ذواتنا وتحديد احتياجاتنا الأصليّة: أي الحبّ والصّداقة والحنان والتّضامن وشعريّة الحياة، إنّه نوع من التّطهير الّذي يطال طريقة عيشنا، وفهم أنّ العيش المشترك بطريقة جيّدة هو تحقيق إمكانات الأنا داخل النّحن المتعدّد .je–Notre فالخوف ممّا يحصل يغذي الأنانيّة الوطنيّة أو الدينيّة، وبالتّالي فالتّضامن الوطني ضروري دون إغفال الوعي المشترك لمصير الإنسان، إنّ الإنسانيّة في أزمة، ورسالة الفيروس واضحة وعلينا سماعها.

يعتقد موران أن كوفيد 19 يضعنا أمام أشكال متنوّعة من اللّايقين، فنحن لا نعلم شيئا عن مصدر الفيروس ولا بالتّحولات الّتي يمكن أن تحدث أثناء انتشاره، ولا نعلم حتّى متى يتراجع هذا الوباء، لا علم لنا بآثار الإغلاق الصّحيّ أمام أنواع التّقسيم، ولا على التّداعيات السّياسيّة والاقتصاديّة الوطنيّة والعالميّة، وبالتّالي فنحن أمام أشكال متنوّعة من اللّايقين (موران، 2020).

كيف سنعيش إذن في مواجهة القضايا الجديدة؟

إن هدف الفلسفة في العصور القديمة واضح جداً: وهو الرد على (كيف نعيش)؟ وإذا كان الفلاسفة مهتمين بكيفية العيش، في الفلسفة كطريقة للعيش، فذلك لأن الوجود يتكون من قضايا دائمة: العاطفة ، البحث عن السلطة ، البحث عن المال ، الخوف ، الشيخوخة ، المرض ، الخيانة ، الموت، كل هذه الأسئلة تزعجنا وتمنعنا من العيش بهدوء، كلنا نعذب كبشر من الحياة وعقباتها، كيف نعيش رغم كل هذا؟

هنالك ثلاث مدارس فلسفية يمكن أن تنيرنا بشكل خاص لفهم هذا: الرواقيون ، الأبيقوريون ، المتشائمون، وهذه المدارس لا تعمل على إزالة الأمراض حتى لو قالوا إن الفلسفة علاجية ولكن على محاولة مكافحتها والحد منها، وتطور هذه المدارس ما يسمى "التدريبات الروحية"، فكل الفلسفة القديمة هي تمرين روحي ، أي ممارسة تهدف إلى تغيير طريقة العيش ورؤية الاشياء ، في النفس أو في الآخرين إنه خطاب ، سواء كان داخلياً أو خارجياً ، وتنفيذ عملي، وبالنسبة لسؤالنا ، ربما يكون الرواقيون هم الأكثر صلة بالموضوع ، فهم الأكثر قدرة على العمل في هذه القضية لأن الرواقية هي فلسفة القبول، العبارة الأكبر هنا :"هنالك أشياء تعتمد علينا وهنالك أشياء لا نعتمد عليها" هي عبارة مضيئة للغاية، فما لا يعتمد علي مثلاً هو الوضع الحالي ، لأن هذا الفيروس أصبح وباءً، وما يعتمد علي هو التباعد الاجتماعي وقواعد النظافة واحترام الذات (الاعتناء بنفسك) إذا كنت تريد رعاية الآخرين، ولدى الرواقيين أربع فضائل أساسية يمكن وضعها في منظور السياق الحالي، الأول هو الحكمة ، وهي معرفة كيفية الترحيب بما يحدث بهدوء وسكينة، فلا تبحث عن شخص يلومه ولا تنزعج، والبعد الثاني هو العدالة، على سبيل المثال ، معرفة كيفية التفاعل مع الآخرين ، والتعليم ، واحترام التعليمات، والمحور الثالث هو الاعتدال مرة أخرى ، يتعلق الأمر بعدم الاستسلام لذعر الشراء ، والتحكم في دوافعك ، والاعتدال في ملذاتك ، على سبيل المثال عدم محاولة المغادرة ، لشراء ما هو غير ضروري، والبعد الرابع هو الشجاعة لاتخاذ قرارات غير سارة ، لتقرير ما هو جيد للصالح العام ، فلديك الشجاعة لتغيير عاداتك، وهذه أربع فضائل مهمة في تحديد طريقة حياتنا.

علاوة على ذلك ، نظراً لوجود شكل من أشكال القيمة المضافة ، يُقال إن بعض الأشياء ضرورية والبعض الآخر ليس ضرورياً، لذا فإن غالبية الناس يخبرون أنفسهم أن ما يغذي حياتهم اليومية ، ولماذا يستيقظون في الصباح ، والمكان الذي يترددون فيه على جزء كبير من حياتهم ، ليس ضروريًا في النهاية، نحن ندرك أن هنالك مجالات كاملة من النشاط والوظائف والوقت الذي يتم قضاؤه هو بالتالي غير ضروري، وما يصبح مهمًا هو أن نسأل أنفسنا ما إذا كنا سنرى ما يكفي لتناول الطعام والبقاء بصحة جيدة.

الفلسفة و أسئلة كورونا 19 المنسية:

لا شك أن الفلسفة ليست كما يروج لها العديد من الناس مجرد تأملات فارغة أو تخيلات، كما أنها ليست أيضا مجرد طرح للأسئلة كما يعلمونها لتلاميذنا في المدارس، فطالما قدم الفلاسفة أجوبة لمشكلات عصرهم فكتاب الجمهورية عند أفلاطون يقدم نظرية و جوابا عن إشكالات المجتمع اليوناني آنذاك، و ديكارت أيضا في مقال في المنهج أو عن المنهج يقدم أجوبة لمشكلة إستخدام العقل، و كذلك فعل اسبينوزا على مستوى السياسي في كتاب اللاهوت و السياسة، و العديد من الأمثلة تؤكد هذا القول و في نفس الآن تفند النظرية التي تقول بأن الفلسفة فقط تكتفي بطرح الأسئلة، الفلسفة حقيقة شكل من أشكال الصراع الطبقي على المستوى النظري كما قال ألتوسير، لذلك فالفيلسوف إبن عصره و الفلاسفة لا ينبتون كالفطر من الأرض كما أوضح ذلك ماركس بل هم عصارة عصرهم، و ما يميزهم في اعتقادي عن غيرهم فقط هو كونهم قادرين على صياغة مشكلات عصرهم صياغة فلسفية عميقة، أو النظر إلى جوانب المشكلات المعاصرة من حيث لم ينظر الآخرون إليها، إضافة إلى المشكلات الوجودية الموروثة، ناهيك على أن للفيلسوف نسقا فلسفيا خاصا به، يستطيع عبره إعطاء رأيه في كل القضايا التي تطرح حاليا أو بالأحرى في كل المستجدات بآعتبارها مشكلات تحل بالإنسانية سواء كانت عامة كونية أو خاصة بمنطقة جغرافية محددة، لذلك فهذا الوباء الذي اجتاح الكرة الأرضية يعيد إلى اذهاننا ما كتبه البير كامي في رواية الطاعون و طرح عبرها المشكلات أو بالأحرى الإشكالات الوجودية عن الموت و المصير ، الأمر

يتكرر هذه المرة بسبب كوفيد 19 التي يعيد طرح الأسئلة الفلسفية الأكثر عمقا ، فهل بلغ الجنس البشرى مداه على مستوى وجوده على هذه الأرض؟ هل القيم الأخلاقية التي صاغها الإنسان منذ القدم لازالت صالحة لتستوعب تغيرات العصر ؟ .

في مواجهة هذه الأحداث الهالكة والجبارة تقف الفلسفة كطوق النجاة للإنسان للخلاص من السقطات الكاسحة التي يكون الانتصار عليها بالعقل وحده وميزة الإنسان هي لغة الإدراك وحتمية الانتصار في اللعبة الكونية التي تهدد الوجود الإنساني برمته فالفلاسفة عاشوا حياتهم مع الألم والانكسار والأمراض والكوارث الطبيعية وانتصروا عليها بالعقل والرؤية الواضحة والرجوع إلى السلوك الإنساني لمواجهة هذه العقبات التي تحاول فيها الطبيعة كسر الوجود وتحطيم الإنسان على تطوره وتقدمه الخيالي وما وصل إليه من اكتشافات عظيمة في تفسير أصل الوجود وقيمة الإنسان ورقيه.

وهكذا فعل البر كامو فقد عاش في بيئة فقيرة مع أم عمياء لكنه تجاوز الفقر وانتصر على ذاته وهذا باعتبار الفلسفة انتصار العقل على الفشل والإنسان بطلعه فيلسوف فانظروا كيف أن هذا الوباء قد غير سلوكات البشر وغير طباعهم وعاداتهم التي رافقتهم طوال عمرهم لا حفلات ولا سهرات مع الأصدقاء ولا إجازات ولا سفر حول العالم حتى الحب توقف وكذلك التفكير بالمشاريع المستقبلية والإعداد للغد حتى الحرية أصيبت بالجمود ولكن نتج عن كل تلك الخطط التي تغيرت بفعل هذا الوباء المستجد الذي حصد أرواح الملايين من البشر نوع جديد من السلوكات في البيت فصار لدى الإنسان الوقت الكافي ليفكر في وجوده ويفكر في حياته ويستنبط خططا جديدة ليحمي نفسه من الموت وصار يفكر بالحياة ومعناها وقيمتها هنا صار العقل يعمل والنظرة الفلسفية أخذت طريقها لتجدد الخلايا النائمة عند الإنسان.

لقد وجدت الفلسفة عند الفيلسوف، وهو نفسه يملك التحكم بحياته وهذه الفلسفة الذاتية هي التي ستنقذ إنسان هذا العصر من الانقراض والاندثار ليبقى الإنسان سيد هذا الوجود وليكون انتصاره حتميا على هذا الوباء الكارثي، وفي التاريخ أمثلة على وجوب الأخذ بالحل العقلي للابتعاد عن الوقوع في الحلول العاطفية الساذجة، ولكن تبقى الفلسفة وعملية اليقين والتصاعد الفكري مع وجود الفقر والحروب والأمراض الفتاكة هي الطريق لمعرفة الإنسان لنفسه وسلوكه وحقيقة وجوده، ومن غير

هذه الاختناقات المصيرية كيف للإنسان الخامل أن يتحرك ويفكر في إيجاد أنماط حياتية جديدة تنقذه من المصائب والكوارث الكونية التي عليه الانتصار فيها ليعمر الكون ويبقى الإنسان فيها خالدا ولا ينقرض بفعل الكوارث والبراكين والأعاصير والأمراض المعدية التي تحاول أن تفتك به وتقضي عليه (اسحق، 2021).

خاتمة:

إذا كانت الفلسفة على مستوى "المفاهيم" هي تاريخٌ من المفاهيم الكبرى التي تفاعلت وأثّرت في التغيُّرات المهمة لتصوراتِ ومفاهيم وقوانين وأخلاق البشرية، إذ أن الفيلسوف طبيبُ الحضارة، فإنها على مستوى "نمط الحياة"، هي تحسين القدرة على التفكير والعيش، فالفلسفة هنا تفرد الفعل الذي يجعل المرء على درجة من النقد العقلانيّ وله قيمةٌ معرفية من تجاربه وحياته.

ونستلهم من وباء كوفيد 19 فتراتِ المَخاطر والاستثناء في الحاجة إلى إعادة التساؤل عن فاعلية طرق التفكير وأنماط العيش في مقابلة القلق والخطر، فما نراه جديرًا أيضًا بالتناول والأهمية فيما يساعدنا في حياتنا الواعية؛ هو الرفع من قيمة التفلسف.؛ إذن الوباء عنوان موت شيء ما، لكن حين ينتشر الموت قد يأتي على الإنسان نفسه، لذلك يحتاج الموت إلى ستار يؤمّن مروره السلمي حتّى يصير مقبولاً من الجميع كضرب من الحياة، وإذا كان ستاره وصلاً خادعاً بين معاني الحياة والموت، وبين منتجات الإنسان وعطايا الطبيعة، فإنّ الوعي بالموت بما هو موت قد لا يكون ممكناً إلاّ عبر استيعاب سردية الوباء في علاقتها بالعولمة كأحد تجليّات فكرة الحداثة، بل وانعكاساتها الّتي غيّرت مقومّات المشترك الإنساني والمصير المشترك للبشر، ليتماشى مع صيرورة العولمة في مراحلها المتتالية، والسؤال هو: أيّ معنى فلسفي للتعايش متى تمّ تأسيس ماهيته على ثقافة الخوف من العدوى؟.

قائمة المصادر والمراجع:

Cf. Louis Baudoin - Laarman, J. C. (2020, 1 29). *«Non, le coronavirus détecté en Chine n'a pas été créé en laboratoire puis breveté»*. Récupéré sur https://factuel.afp.com

Jürgen Habermas. (2001). *Die Zukunft der menschlichen Natur. Auf dem Weg zu einer liberalen Eugenik?,*. Suhrkamp: Frankfurt am Main .

Larmagnac-Matheron, O. (2020, 02 07). *Surveiller et contenir : Foucault à Wuhan*, 42463. Récupéré sur www.philomag.com/lactu/resonances/surveiller-et-contenir-foucault-a-wuhan-42463 Publié le 02/07/2020

Martha, N. (1997, 11 01). . "Kant and Stoic Cosmopolitanism" . *The Journal of Political Philosophy, Volume 5*(Number 1), 6.

Nietzsche, F. (1887). *, Die fröhliche Wissenschaft ("la gaya scienza").,, p.* Vorrede zur zweiten Ausgabe.

Slavoj, Ž. (2020, 3 18). *Is Barbarism with a Human Face Our Fate?* Récupéré sur https://cutt.us/Zkfcj

Zizek, S. (2020, 4 3). Récupéré sur Clear racist element to hysteria over new coronavirus: www.rt.com/op-ed/479970-coronavirus-china-wuhan-hysteria-racist/

Zizek, S. (2020, 4 6). *Coronavirus: le virus de l'idéologie*. Récupéré sur ww.nouvelobs.com/idees/20200206.OBS24500/coronavirus-le-virus-de-l-ideologie-par-slavoj-zizek.html

Zizek, S. (2020, 01 22). *My Dream of Wuhan*. Récupéré sur www.welt.de/kultur/article205630967/Slavoj-Zizek-My-Dream-of-Wuhan.html

Zizek, S. (2020, 2 6). *We're all in the same Boat now - and it's the Diamond Princess*. Récupéré sur WELT- Kultur. Veröffentlicht : www.welt.de/kultur/kino/article205828983/Slavoj-Zizek-We-re-all-in-the-sam

إدغار موران. (2020). كورونا كشف أن العولمة ترابُطٌ فاقدٌ التّضامنَ. *حوار مع مجلّة L'obs.*

اسحق ,س. (2021, 1 23). صحيفة الرأي /ثقافة-وفنون, sur الفلسفة وكورونا. Consulté le : http://alrai.com/article/10573648

العبودي ,ش. (2020, 04 13). فيروس كورونا)كوفيد (19-الاسباب والنتائج، الأبعاد والتداعيات المجتمعية في كافة المجالات. *لحوار المتمدن*)العدد.(6536 :

فوكو ,م. (1990). *المراقبة والمعاقبة .ولادة لسجن)* . .ت .ع .مقلد .Éd ,بيروت :دار الإنماء القومي.